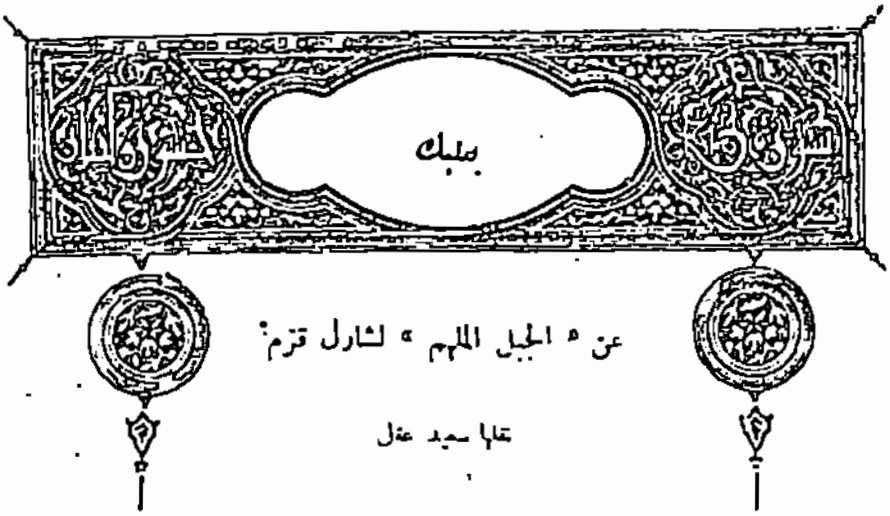

عن « الجبل الملهم » لشارل قزم*

نقلها سعيد عقل

ويا بَعلبكُّ ، جِئى أمـانيِّ تلك العهودْ ،
حَنانـاً على الفُرس يفقدنه فيكِ ، منذ الوجودْ !

فكم خضرةٍ صوَّحت هشيماً على أرْجُـلكْ !
وأنتِ ، اليتيمة ، تحوِينَ دنيـا على أنْمُلكْ !

وَلدتِ الرجالَ الأُولى تهـادَوا بزندٍ أغَرّ ،
وبالنخل من قامـةٍ يصدُّون وَجهَ القَدَرْ .

هنـالكَ أرضٌ تموج بالعشب لا يُجتنى ،
هنـا عُمُدٌ نابتاتٌ ، على الدهر ، من أرضنا .

أراهنَّ في رقصةٍ ، سكارى بقلب الفضاء ،
يُفجِّرْن وجهَ الكواكب حِسّاً ، ووجهَ السماء !

فترقصُ آفاقُنـا ، على لوعـةٍ واشتياقْ ،
تغنّي غرامَ الصبيحة والغيمِ ، غِبَّ العنـاقْ !

∴

* النقل محظور .

نجومٌ تدور ، وتَرقُصُ من حول تيجانك الناقراتِ الجلالْ ؛
وليلٌ غفا في جنايا التلالْ ؛
وظلٌّ كميٌّ تمزّى ، وعلّقَ ، فوقَ نقوشِكِ ، ثوبَ القتالْ !

نجومـاً عرائسَ ، يا عُمْدَ القِدَمْ ، أنتِ لنا أنبياء الأزلْ ؛
وأنتِ ملوكٌ مَضَوا ، ودُوَلْ .
وتدرينَ أني أجوبُ الخيـال ، على قدر حبّكِ للمُلهَمِ ،
فيا عُمُـدًا ، آلهاتِ الدَّمِ ،
أريقي الصباحَ على مبسمي !

وأجملي شِعري الفتيّ ، إن يستبحْ منكِ البخورْ ،
مُترِلًا رَوْنَقَ موتٍ عُـاويٍ ، ونشورْ ،
منكِ ، يا لحن العصورْ !

عُمُـدَ الصوّانِ ، والجُرأةِ ، يا أُفقَ الاملْ ،
روحُنا تجتـازُ ، في وثبكِ ، أبصارَ التُّلَلْ ،
في انفـلاتٍ وثَمَلْ !

* *

هباءٌ من الشمس — مثل الفَراشاتِ يَرفلن بالطُّهر ، والأَحمرِ ،
ومثل الأهازيج من مرقص النحل ، يملأنَ سمعَكِ نثرًا طَري ،
جليـلًا بأسرارهِ البِكْرِ ؛
ومثل طيورٍ من الوهم زُرقٍ تُطوّفُ ملءَ نشيدِ القيـانْ ،
وبين النهارِ ، وبين الجِنانْ !

هبـاءٌ من الشمس يمشُقُ منكِ ، ويمسحُ من قِدَمكِ الأسمَرِ ،
ويـكرُ من خمرةٍ ، ويُعربدُ ، دون اخضرارِكِ ، في الاعصُرِ ،
ويرشفُ منكِ أفتنانْ
وسرَّ زهـودٍ حِسانْ

تساقطْنَ عن أغلِ نيّراتِ بَنَتْكِ زماناً حديثَ الزمانْ .

∴

ويا آيةَ العينِ تنهدُ ، سكرى ، على الوَرد من جسكِ الخافقِ ،
فتخشع مقرورةً ، دون شيءٍ عميقٍ بأسرارهِ دافقِ ،
تُخالُ على أغلِ الخالقِ ؛
وتنضج ملء بياض الصباح ، يُخضّبها طيبهُ ، ونداهْ ؛
تُخال شفاهاً بَرَتْها الشّفاهْ ؛
وتحت اللّمى منكِ ، يا بعلبكُ ، تحولُ لمى مستطابَ الجنى ،
تَفتّقَ عن قُبلةٍ أشرقت بسرّ الحياة ، وأفقِ المُنى ؛
هي العين منكِ على ضفّةٍ ، فتثرُّ حنا فوق ثغرٍ حنا !
تُرى انّما طائران استفاقا الى الزهر : أجنحةٌ وانفلاتْ ،
يثنّان ، في سكرةِ الزقزقاتْ ،
افاتينَ اشياء ، يا بعلبكُ ، تُريقُ الالوهة في الكائناتْ !

∴

هو الله يخصّ شمالَ السماءْ
بثُمّ النورِ ، وجُنحِ الغيومِ ، وحُكمِ القَدَرْ ،
ومملكةِ الخالدين البَشَرْ ،
وبالزُرقِ من نيّراتِ القضاءْ ،
وبالعُشبِ الخُضرِ منكِ ، يُداعبنَ وجه الزمان ، ووجه النّساءْ !

∴

لا تَرِيمي عِنّا يَهيجُكِ أعراساً تراءى الصباحُ ، كيف تراءى ،
أسودَ النورِ ، أبيضَ الوهج ، سيّانِ اذا انتِ تلبسين صفاءَ ،
يفيضُ الحُلمَ في المحاجر ماءَ !
عُمُدَ الجبروتِ تُطلعُ للفنّ مِثالاً من الجلال الضاحي ،
أنتِ مرمى آمالنا ، يا خيالاً فيهِ كلُّ الحقيقةِ المساحِ !

لا تهادتْ أجلَّ منكِ رُؤى السحرِ ، وأسمى مهابةً في الفؤادِ ،
تسفحين التي عليك جمالاً فاجعاً بالرُّواء ، والانفرادِ .

واذا كان رَفرَفُ القوم ، والهالةُ في صخرةٍ من الفنِّ حيَّةْ ،
تشهدُ الأرضُ ، أيها الطَّللُ الرمّةُ ، أنّا اعزُّها مدنيَّةْ !

أيَّ أمنيَّةٍ تنحتْ ، ولا تنشقُّ في سُكرِها ، وفي البحرانِ !
واذا اختال ، فوق حوريبَ ، موسى في شهابين من قوى وامانِ ،
فلنا ستَّةٌ يوجه الزمانِ !

ما عجيب طيّ الضلوع على الاضداد ، والقلب في مراميه قلبُ ،
العجيب العجيب ، يا عُمْدا صنّاء ، ألا شيء كحزنك ، عذبُ !

***

عُمْدَ الشمس ، يا فجاجاً خلالَ الدهر ، غُرَّ الابعاد ، والقضبانِ ،
ايها السدُّ دون بحرةِ نورٍ ، منبرِ الصبح ، والعلى ، والزمانِ ؛
عُمُدَ الشمس ، قدَّةً من ثباتٍ ، وشراعاً من لازَوَرْدٍ ونُورِ ،
ايها الزورق المحمَّل أياماً يشقّ العبابَ ، غرضَ العصورِ ؛
ما تضير اعتزازنا حيرةُ التاريخ يُغضي عن حيِّنا ببنائكْ ،
أنتِ ، يا بعلبكُ ، تدرينه حقّاً ، فخلّي التاريخَ دون علائكْ !
نحن لا ندَّعي بك الزخرف المحدَث ، صنعَ الرومان واليونانِ ،
فخرُنا نحن ، يا أميرةُ ، في الفكرةِ تبنيك آيةَ الازمانِ !

***

ما تبالين ، أنتِ ، بالناس يهوونكِ ، والحسنُ فيك حسنُ الرجولَهْ ،
وأمانيكِ ما تني في هيامٍ ، منك ، بالناسِ ، منزلٍ إنجيلَهْ !
في انفلاتٍ الى الألوهة تنهدّين فيها بجنونةٍ بالضياء ،
واندفاعٍ مثل الاشعة من أعرافكِ الشمرِ في الزمان الثاني ،

في خطابه به من الله قولُ : « أنا نفسي اقدار نفسي الرواهنْ ،
أنا من مبتغايَ ، خالقُ ذاتي ؛ انا اهوى وابتغي ؛ انا كائنْ ! »

أنتِ ، يا بعلبك ، ثبتةُ أسٍ ، غيرُ تعبى من المدى والبقاء ،
فلذُ العبء فيكِ من هائلِ الاونِ ، وتيجانك العلى من سماء !

حكمة الله ، والزمانُ ، على صخركِ ، صنّانِ في دَدٍ وعناقِ ،
طالعٌ منهما حوالي تضاعيفك مثلُ التهدِ المشتاقِ !

يا بني النور ، اخوةَ الفجر ، ما يرميْ بقضّى اجسامكم للفناء ؟
ايها الاذرع الثقالُ جراحاً ، أيّ وتبٍ لكم بقلبِ الفضاء !

∴

قلاعَ بلاديَ ، يا أنجما
ذواتِ قوائمْ
تسيرُ ، دون الحسى ،
بعدّى وعزائمْ !

خطاكنّ ، والوثباتُ الجوامدْ
بأفق القِدَمْ ،
يزينَ الدهورَ الصوامدْ
بثبتِ القدمْ !

يلاقي بكنّ المشيبَ المشيقَ :
أميريَ جلالْ ؛
والمرس تمشي الحقيقَ
بقرب الخيالْ !

جابرةَ الصمت ، والناس حربٌ ،
ويا حالماتْ ،

على شاطئه فيه تكبر
ذرى الكائنات ؟

أرى فيك ، يا بعلبكَّ الخلود ،
بكورَ الرجولهْ ؟
دعي الصولجانَ يجدْ
مجرَّ البطولهْ !

فأنتِ ضياء الصباح الطهورْ ،
وبعد الزوالْ ،
تظلّين ، فوق العصورْ ،
جُذًى من جمالْ !

وإن نستعزَّ بمجد الجدودْ ،
تظلّي العَتَدْ ؟
أيا بعلبكَّ الخلودْ ،
وإرثَ الأبدْ !

وحولكِ من زرقةٍ وسنى ،
روًى وإلهْ ،
تظلّلُ اعراسنا ،
مع الآلهةْ !